القوابل حتى القاذورات و الأعيان النجسة ـ شخصيّة كانت أو نوعيّة ـ و منشأ تخصصات الأفعال و الآثار خصوصيات الأعيان الثابتة التى ما شمّت رائحة الوجود.

إذا عرفت هذا فقس عليه أفعال العباد و اجعلها وقاية عن نسبة الشرور و الآفات الى الحق الجواد.

فهذه صورة المسألة عند هؤلاء الأكابر، و أمّا البرهان اليقينى المناسب لأهل البحث على هذا المطلب الشريف فهو مثبت فى بابه، ليس هنا مجال بيانه، لأنّه يطول به الكلام و يخرج عمّا نحن بصدده من المرام.

المقالة السادسة

فى معنى قوله سبحانه: ﴿من ذا الذى يشفع عنده إلّا باذنه﴾

و فيه مشاعر:

المشعر الأوّل

فى معنى «الشفاعة»

أعلم أنّ الشفاعة ـ أى ما به يصير الشخص شفيعاً ـ هو نور يشرق من الحضرة الالهيّة على جواهر الواسائط بينه و بين النازلين فى مهوى البعد و النقصان، به يجبر النقائص الحاصلة من تضاعف الامكان، فالمتوسطون فى سلسلة البدو: هم العقول الفعّالة، ثمّ النفوس العمّالة، ثمّ الطبايع النقّالة الكلية. و فى سلسلة العود: الأنبياء، ثمّ الأولياء، ثمّ العلماء.

فكما أنّ الأشخاص هناك يتقوّم بالطبايع، و هى يتقوّم بالنفوس، و النفوس يتقوم بالعقول، و نور الوجود إنّماتفيض من الحق تعالى على الكلّ لكن على العقول بالاستقامة و على غيرها بالانعكاس من بعض الى بعض، فكذلك هاهنا يتقوّم الناس بحسب الحياة الأخرويّة و الوجود العلمى المعادى بالعلماء، والعلماء بالأولياء، و الأولياء بالأنبياء، و نور الهداية و الوجود المعادى إنّما تفيض منه تعالى على جوهر النبوّة و تنتشر منها الى كلّ من استحكمت مناسبتها مع جوهر النبوّة بالانعكاس لشدّة المحبّة و كثرة المواظبة على السنن، و كثرة الذكر له بالصلوة عليه، كما قال تعالى حكاية عنه: ﴿فاتبعونى يحببكم الله و يغفر لكم ذنوبكم﴾(آل عمران(٣): ٣١).

و مثال ذلک نور الشمس إذا وقع على الماء، فانّها تنعکس منه الى موضع مخصوص من الحائط لا على جمیع الحائط، و إنّما یختص بذلک الموضع بالانعکاس لمناسبة وضعیة مخصوصة بینه و بین الماء توجب تلک المناسبة ارتباطاً له بالنیّر بواسطة الماء فى الوضع، و تلک المناسبة مسلوبة عن سائر أجزاء الحائط، و ذلک هو الموضع الذى إذا خرج منه خط الى موضع النور من الماء حصلت منه زاویة متساویة للزاویة الحاصلة من الخط الخارج من الماء الى قرص الشمس، و هذا لایمکن إلّا فى موضع مخصوص من الجدار.

و من هذا المثال یتفطن اللبیب أنّ المناسبة التى توجب استفاضة الکمال من الله بتوسط النبى لیست أىّ مناسبة کانت، بل هى المناسبة المخصوصة التى لها جهة اشتراک مع المناسبة التى بین النبى و بین الله کما فى المثال، فانّ جمیع أجزاء الجدار لها نسبة وضعیّة مع وجه الماء، و مع ذلک لایستضیء من تلک الأجزاء إلّا جزء خاص، و ذلک لاتحاد نسبتها الى وجه الماء مع نسبة وجه الماء الى الشمس، لکونهما واقعین معاً فى سمت سطح واحد عمود على سطح الماء.

و هکذا حال نسبة البصر مع الصورة الخارجیة التى یراها الانسان، فانّ الخط الخارج من البصر الى المرآة و المنعکس من المرآة الى الصورة الخارجة دائماً محیطان بزاویة یکون سطح تلک الزاویة قائماً على سطح المرآة، کما یثبت فى علم المناظرة و تشهد به التجربة، فکذلک حکم المناسبات المعنویة مع النور الالهى و الوجود القیّومى.

و من هنا یظهر معنى قوله ﷺ: «من أطاعنى فقد أطاع الله، و من أبغضنى فقد أبغض الله»؛ فانّ المناسبات المعنویّة العقلیّة تقتضى للجواهر المعنویّة استفاضة النور العقلى بوسیلة من استولى علیه التوحید، و تأکّدت مناسبة مع الحضرة الأحدیّة، و أشرق علیه النور الالهى من غیر واسطة، و من لم یترسّخ قدمه فى ملاحظة الوحدانیّة لتضاعف جهة الامکانیّة، و ضعف جهة الوحدة و غلبة التجسّم و التکثّر و الحجب لم تستحکم علاقته إلّا مع الواسطه، أو مع واسطة الواسطة، فافتقر الى واسطة، أو الى وسائط، کما یفتقر الحائط الذى لیس بمکشوف للشمس الى واسطة المرآة المکشوف للماء المکشوف للشمس.

و عند اتحاد الجهة فى الارتباط الموجب للشفاعة کما أشرنا الیه یکون حکم الواسطة الثانیة فى الاشراق و الانارة کحکم الواسطة الأولى من غیر تفاوت إلّا بالقوة و الضعف مع

الاتحاد فی الماهیّة، کما أنّ حکم الواسطة الأولی کحکم النیّر الحقیقی من غیر تفاوت إلّا بالأصالة والتبعیّة، و لهذا قالﷺ: «من أکرم عالماً فقد أکرمنی». [1]

و إذا تأمّل أحد یعلم أنّ الی مثل هذا ترجح حقیقة الشفاعة فی الدنیا ایضاً، فان السطان قد یغمض عن جریمة أصحاب الوزیر و یعفو عنهم لاعن مناسبة أصلیّة بینهم و بین الملک، بل لأنّهم یناسبون الوزیر المناسب للملک، ففاضت العنایة علیهم بالواسطة لابالأصالة، و لو ارتفعت انقطعت العنایة عنهم بالکلیة.

المشعر الثانی
فی تعیین الشفعاء و معنی «الاذن»

قد علمت ممّا سبق من تفسیر الشفاعة أنّ «الشفیع» مَن یکون یوم القیامة. و معنی «الاذن» عبارة عن جعله تعالی بعض الممکنات مخصوصاً بالقرب الیه و التوسط بینه و بین من لیس له هذه المرتبة، و ذلک التقدیم و التأخیر إنّما یکون لأجل استحقاق ذاتی و تفاوت جبلّی حاصل لبعض الأعیان و الماهیّات بالقیاس الی البعض بحسب الفیض الأقدس، و هو ثبوتها فی علم الله تعالی قبل وجودها الخارجی مع آثارها و لوازمها، فقوله تعالی: ﴿**من ذا الذی یشفع**﴾ استفهام انکاری، أی: لایشفع عنده إلّا بأمره.

و ذلک؛ لأنّ الکفرة و المشرکین کانوا یزعمون أنّ الأصنام لهم شفعاء مقرّبون کما أخبر تعالی عنهم بقوله: ﴿**ما نعبدهم إلّا لیقرّبونا الی الله زلفی**﴾ (یونس(۱۰):۱۸)، و قوله تعالی: ﴿هؤلاء شفعاؤنا عندالله﴾ (یونس(۱۰):۱۸) ثمّ بیّن تعالی أنّهم لایجدون هذا المطلب لمّا علمت أنّ الشفیع هو الواقع فی سلسلة الایجاد و العلّة الطولیة دون الأمور الخسیسة الاتفاقیّة العرضیّة، فقال: ﴿و یعبدون من دون اللّه ما لایضرّهم و لاینفعهم﴾ (یونس(۱۰):۱۸) فانّ النافع للشیء ما یکون مؤثراً فی وجوده أو کمال وجوده بنحو من السببیة، و الضار هو عدم ذلک الشیء أو ما یساوقه، فأخبر تعالی هاهنا أنّه لاشفاعة عنده إلّا من استثناه الله بقوله: «إلّا باذنه» و نظیره قوله تعالی: ﴿**یوم یقوم الروح و الملائکة صفّاً لایتکلّمون إلّا من أذن له الرحمن و قال صوابا**﴾ (النبأ(۷۸):۳۸).

و علم من هذا أنّ المأذون للشفاعة أوّلا و بالذات لیس إلّا الحقیقة المحمدیّة المسمّی

۱. جامع الأخبار، ج۱۱۱، ص۱۹۶ عن أبی هریرة

فی البدایة بـ«العقل الأوّل» و «القلم الأعلی» و «العقل القرآنی» عند وجودها الصوری التجرّدی، و فی النهایة بمحمد بن عبدالله و خاتم الأنبیاء عند ظهورها البشری الجسمانی، قال: «کنت نبیّاً و آدم بین الماء و الطین»[1]، «أنا سیّد ولد آدم و صاحب اللواء و فاتح باب الشفاعة یوم القیامة».[2]

ثمّ أقرب الأولیاء الیه سلفاً و خلفاً بحسب التابعیّة المطلقة هو الحقیقة العلویّة المسمّی فی البدایة بـ «النفس الکلیة الأولیّة» و «اللوح المحفوظ» لمّا أفاده و کتبه القلم الأعلی و «أمّ الکتاب» الحافظ للمعانی التفصیلیة الفائضة علیه بتوسط الروح الأعظم المحمدیّ ﴿**و إنّه فی أمّ الکتاب لدینا لعلیّ حکیم**﴾(الزخرف(۴۳): ۴) و هو العقل الفرقانی، و ذلک عند وجودها التجردی، و فی النهایة بعیسی ابن مریم و علّی بن أبیطالب علیهما السلام، و هذا عند وجودها البشری الجسمانی.

و من جملة المضاهات الواقعة بینهما علیهما السلام أنّ کلّا منهما ممّن وقع الشک فی الهیّته. و ذلک لغلبة أوصاف الوحدة والتجرّد و الولایة علیهما.

ثمّ الأقرب فالأقرب من العقول و النفوس الکلیة بعد العقل الأوّل و النفس الأولی، الظاهرة فی صور الأنبیاء و المرسلین سابقاً و صور الأولیاء و الأئمة المعصومین لاحقاً سلام الله علیهم أجمعین، ثمّ الحکماء و العلماء الذین منازلهم دون منازل الأنبیاء و الأولیاء إذا اقتبسوا أنوار علومهم من مشکوة النّبوة و الولایة، و إلّا فلیسوا من الحکماء و العلماء فی شیء إلّا بالمجاز، و ذلک لأنّ الوصول الی الله تعالی و نیل روح الوجود من المنبع الحقیقی لایمکن إلّا باتّباع الأنبیاء و الأولیاء صلوات الله علیهم أجمعین، إذ العقل لایهتدی الیه اهتداءاً یطمئن به القلوب و یرتفع عن صاحبه الریب و الشک، و لاسبیل له فی معرفة الحق إلّا بأنّه ینظر فی الممکنات و یستدل بها علی موجدها و هو الحق تعالی، ثمّ علی وحدته و وجوبه و علمه و قدرته، و لایعلم من صفاته الثبوتیة إلّا هذا القدر و من صفاته التقدیسیة أنّه لیس بجسم و لاجسمانیّ و لازمانی و لامکانی و أمثال ذلک.

و لیس هذا الاستدلال إلّا من وراء الحجب، إذ لایحضر عنده إلّا مفهومات ذهنیة و معقولات ثانیة لایسمن و لایغنی من جوع، و هذا بعینه کمن أراد أن یستغنی بمفهوم الحلاوة

۱. بحارالأنوار، ج۱۶، ص۴۰۲، ح۱؛ تحفة الأحوذی، ج۱۰، ص۵۶
۲. الأمالی للصدوق، ص۹۳

عن السكر و بمفهوم السلطنة عن السلطان، فأصحاب العقول كلّها كالذين قال الله فيهم: ﴿**أولئک ينادون من مكان بعيد**﴾(فصّلت(۴۱): ۴۴)، لأنّهم يجعلون الحق بعيداً عن أنفسهم و يكتفون عن ذات الحق الأوّل و مشاهدة الذوات المقدسة العقلية و ملاقات حقائق أهل الجبروت و الملكوت، القاطنين فی طبقات الوجود بمفهومات ذهنية و حكايات مثالية، و مع هذا لايجری لهم طريق الاستدلال إلّا فی الذهنيّات و الكليات التی هی طور العقل، و أمّا فی الأمور التی هی وراء طور العقل من أحوال الآخرة و أحكام البرازخ فيثبت فيها عقولهم و يقف من غير أن يهتدی اليها إلّا باتّباع الشريعة.

و لهذا اعترف شيخهم و رئيسهم بالعجز فی ادراک المعاد الجسمانی[1] وصرّح بأن لاسبيل للعقل اليه إلّا من جهة تصديق خبر النبوة التی أتی بها سيّدنا و مولانا محمد ﷺ.

و من هنا يظهر معنی الشفاعة و معنی كون النبی ﷺ مأذوناً فيها و معنی كون الشفاعة منحصراً فيه بالأصالة، فانّ النجاة من العقاب الدائم لايمكن للانسان بحسب الكمال العلمی للقوة النظريّة ـ و هو المراد من الايمان ـ إلّا باستفاضة الحقائق العلميّة من معدن النبوة الختميّة صلوات الله علی الصادع بها و آله، إمّا بغير واسطة ـ كما للأولياء ـ أو بواسطتهم كما للعلماء ـ أو بحسب الحكاية و التمثيل كما للعوام المسلمين.

قال بعض المحققين من العرفاء. «إنّ الانسان الكامل هو سبب ايجاد العالم و بقائه، أزلا و أبداً، دنياً و آخرة».

و قال صاحب الفصوص الحكمية: «فهو الانسان الحادث الأزلی، و النشیء الدائم الأبدی، و الكلمة الفاصلة الجامعة».[2]

قال بعض الشارحين لكلامه: أمّا «حدوثه الذاتی» فلعدم اقتضائه من حيث هی هی الوجود، و أمّا سحدوثه الزمانی»، فلكون نشأة العنصريّة مسبوقة بالعدم الزمانی، و أمّا «أزليّته» فبالوجود العلمی، فعينه الثانية أزلية و بالوجود الروحانی، فلأنّه غير زمانی متعال عن أحكامه مطلقاً، و اليه الاشارة بقول النبی ﷺ «نحن الآخرون السابقون»[3] و أمّا دوامه و أبديّته فلبقائه ببقاء موجده دنياً و آخرة.

---

۱. الالهيات من الشفاء، الفصل السابع من المقالة التاسعة، ص۵۴۴

۲. شرح فصوص الحكم، ص۳۵۳

۳. صحيح البخاری، ج۱، ص۶۵؛ مناقب آل أبی طالب، ج۳، ص۶۱

و أيضاً كلّ ما هو أزلى فهو أبدى و بالعكس، و إلّا يلزم تخلّف المعلول عن العلة أو التسلسل فى العلل، لأنّ علته إن كانت أزليّة لزم التخلّف، و إن لم يكن كذلك يجب استنادها أيضاً الى علة حادثة بالزمان، و حينئذ إن كان للزمان فيها مدخل يجب أن يكون معلولها غير أبدى لكون أجزاء الزمان متجدّدة متصرمة بالضرورة ـ و الفرض بخلافه ـ و إن لم يكن فيها مدخل فالكلام فيها كالكلام فى الأوّل فيتسلسل، و التسلسل فى العلل التى لامدخل للزمان فيها باطل، و إلّا يلزم نفى الواجب.

فالأبديّات مستندة الى علل أزليّة أبديّة، كما أنّ الحوادث الزمانيّة مستندة الى علل متجدّدة متصرمة، و النفوس الناطقة الانسانية حدوثها بحسب التعلّق بالأبدان لابحسب ذواتها، و الصور الأخرويّة كما أنّها أبديّة كذلك أزليّة حاصلة فى الحضرة العلميّة و الكتب العقليّة و الصحف النوريّة و إن كانت ظهوراتها بالنسبة الينا حادثة.

و أمّا كونه «كلمة فاصلة» فلتميّزه بين المراتب الموجبة للتكثّر و التعدّد فى الحقائق، و أمّا كونه «جامعاً» فلاحاطة حقيقته بالحقائق الالهيّة و الكونيّة كلّها علماً و عيناً. ـ انتهى.

و أقول: غرض الشيخ الماتن ـ قدّس سره ـ من قوله: «فهو الانسان الحادث الأزلى و النشىء الدائم الأبدى»، هو الذى أرادته الحكماء من قولهم: «العلّة الغائية متقدّم بحسب الوجود العقلى على ما هى علة له، و متأخّر عن وجوده بحسب الخارج».[1]

و قد ثبت عندهم أنّ العقول الفعّالة لها جهة الفاعليّة للأشياء الكائنة، و لها جهة الغائية، فاذا كان روح النبى صلى الله عليه و آله ـ أى الحقيقة المحمديّة ـ متحداً مع العقل الأوّل فيلزم أن يكون أزليّاً و أبديّاً من حيث حقيقته، حادثاً من حيث بشريّته.

أمّا أزليّته: فباعتبار مبدئيّته للأشياء بحسب صورتها العلمية الثابتة فى علم الله.

و أمّا أبديّته: فلكونها الثمرة القصوى لوجود الخلائق، أو لاترى أنّ جميع الموجودات العنصريّة لها توجّهات و حركات نحو الكمال، فالعناصر تتحرّك نحو الجماد، و الجماد يتوجّه الى النبات، و النبات الى الحيوان، و هو الى الانسان، و أوّل الانسان ذوالعقل (هو العقل) الهيولانى، و هو يتوجّه فى تحصيل الكمال الى العقل الفعّال، بعد طى مراتب العقل بالملكة و العقل بالفعل فيصير مرتقياً الى ما ينزّل منها، و ذلك العقل صار ثمرة شجرة هذا العالم بعد أن كان بذر هذه الشجرة، فما يكون بذراً صار ثمرة.

---

١. المنطق للمظفر، ص٣٧٢

فانظر الى حكمة البارى و قدرته كيف ينقل البذر فى تقاليب الأطوار الى أن يبلغ مرتبة الثمار، فيبتدى أوّله و هو بذر يفسد لبه فى الأرض و يفنى عن نفسه فى الأماكن الغريبة عن ذاته، ثمّ يستحيل و ينقل بقوّته النامية من حال الى حال و من طور الى طور، حتى ينتهى آخره الى ما كان أوّلا و يصل الى درجة اللّب التى كان عليها سابقاً مع عدد كثير من نوع ذاته و فوائد كثيرة و خيرات جمّة من فروع ذاته و لوازمها و قشور صفاته، و ضروريّات هى أرباح تجارته و فوائد سفره من الأوراق المخضّرة و الأغصان المثمرة و الأنوار و الأزهار، و جميع ما يسقط منه و يضمحل و يفسد، و هى التى بسببها تارة يكون محبوساً عن المراد مقيداً بصحبة الأضداد، و تارة بمخالطتها و حراستها محروساً عن الاضمحلال و الفساد، و بمعاونتها و صيانتها مصوناً عن العفونة للمواد، فيخرج من بين فرث تلك الأوراق و الحشايش ودم العروق و الأغصان، دهناً خالصاً، و لبّاً صافياً و بذراً سالماً غانماً باذن الله و ثمرة صالحة هى نتيجة المقدّمات و الانتقالات موجودة باقية أبديّة مع انفساخ أكثرها و زوالها و دثورها.

فأحسن أعمال رويّتک بملاحظة هذا التمثيل و تطبيق قرائنه و حمل ألفاظه لتظهر لک كيفيّة كون الحقيقة المحمديّة سبباً داعياً لوجود العالم، و نتيجة مترتبة عليه، و كلّ ما كان كذلک كان واسطة لوجود العالم سابقاً و لاحقاً، دنياً و آخرة، فنحقّق معنى قوله: «كنت نبياً و آدم بين الماء و الطين»، و قوله: «لولاک لماخلقت الأفلاک»[1]، و قوله «نحن الآخرون السابقون»[2] فيكون شفيعاً يوم القيامة و سراجاً منيراً و هادياً، كما أنّه كان وسيلة و داعياً يوم الابتداء.

فيلزم ممّا ذكرنا أن يكون روحه صلى الله عليه وآله أوّل شىء، تعلّقت به القدرة ـ و إن سمّى بأسماء مختلفة باعتبارات متكثّرة بقوله: «أوّل ما خلق الله نورى» و «أوّل ما خلق الله روحى» و فى روايتة: «العقل» و فى روايتة «القلم» و فى روايتة: «اللوح»[3].

قال بعض الكبراء: أوّل ما خلق الله على الاطلاق ملک كرّوبى يسمى «العقل» و هو صاحب القلم بدليل توجه الخطاب عليه فى قوله: «أقبل» فأقبل ثمّ قال له: «أدبر» فأدبر ـ

---

١. قال المحدّث القاوقچى فى اللؤلؤ الموصوص، ص۶۶: حديث «لولاک لما خلقت الأفلاک» لم يرد بهذا اللفظ بل ورد «لولاک ما خلقت الجنّة» و «لولاک ما خلقت النار» و عند ابن عساكر «لولاک لما خلقت الدنيا» انتهى. [شرح إحقاق الحق، ج١، ص۴٣٠]

٢. صحيح البخارى، ج١، ص۶۵

٣. ينابيع المودّة، ج١، ص۴۵، ح۴؛ بحارالأنوار، ج١، ص٩٧، ح٨؛ فتح البارى، ج۶، ص٢٠۶؛ الجواهر السنيّة، ص١۴۵

كما جاء فی الحدیث المنقول فی کتاب الکافی[1] و غیره، و لمّا سمّاه «قلماً» قال له: «أجر بما هو کائن الی یوم القیامة»[2]، فبحسب کلّ صفة یسمّی باسم آخر، فقد کثرت الأسماء و المسمّی واحد، فباعتبار أنّه کان درّة صدف الموجودات سمّی «درّة» و «جوهرة» کما جاء فی الخبر: «أوّل ما خلق الله جوهرة مثل درّة فنظر الیها فذابت، فخلق منها کذا و کذا»[3]، و باعتبار نورانیّتة و ظهوره بذاته و ظهور الخلائق به سمّی «نوراً» و باعتبار تجرّد ذاته عن الأکوان و حضوره عند ذاته سمّی «عقلا بالفعل»، و باعتبار غلبة الصفات الملکیّة و الأخلاق الحسنة سمّی «ملکاً» و باعتبار تصویره للحقائق مفصلة علی ألواح النفوس الناطقة سمّی «قلماً».

و إذا أمعنت النظر وجدت کلّما وصف به العقل و حکی منه فهو خاصیّة من خواص روحه ـ علیه و علی آله الصّلوات ـ و هو مثل قوله: «أوّل ما خلق الله العقل، فقال له: أقبل، فأقبل. ثمّ قال له: أدبر، فأدبر»، و هذا بعینه هو روحه، إذ قال له: «أقبل الی الدنیا رحمة للعالمین، فأقبل» ثمّ قال له: «أدبر، فأدبر»، أی: ارجع الی ربّک، فأدبر عن الدنیا و رجع الی ربّه لیلة المعراج، ثمّ قال للعقل: «و عزّتی و جلالی ماخلقت خلقاً أحب الیّ منک»، و فی روایة «أعظم»، و هذا هو حاله ﷺ؛ لأنّه کان حبیب الله و أحبّ الله و أحبّ الخلق الیه و أعظمهم عنده، و قوله تعالی للعقل: «بک أعرف و بک آخذ و بک أعطی و بک أعاقب و بک أثیب»، فهذا کلّه حال النبی ﷺ، لأنّ من لم یعرف النبی بالنبوة و الرسالة لم یعرف الله و لو کان ألف دلیل علی معرفة الله، کما یعلمه أهل الحق بالایمان الکشفی الاشراقی ـ بعد الایمان الغیبی الاقتدائی التبعی ـ.

فمعنی الحدیث عند أهل البصیرة: إنّ بمعرفتک أعرف ـ أی: مَن عرفک بالنبوة عرفنی بالربوبیّة ـ و بک آخذ ـ أی: آخذ طاعة من أخذ منک ما آتیته من الدین و الشریعة ـ و بک أعطی ـ أی: بشفاعتک أعطی درجة أهل الدرجات، کما روی عنه ﷺ: «الناس محتاجون الی شفاعتی حتی ابراهیم علیه السلام» ـ و بک أعاقب و بک أثیب و ذلک لقوله تعالی: ﴿**و أخذ الله میثاق النبیّین لمّا آتیتکم من کتاب و حکمة ثمّ جائکم رسول مصدّق لمّا معکم لتؤمنن**

---

۱. الکافی، ج۱، ص۱۰، ح۱.
۲. بحارالأنوار، ج۵۷، ص۹۳، ح۲۵.
۳. شرح فصوص الحکم للقیصری، ص۹۸۹.

به ولتنصرنه قال أأقررتم و أخذتم على ذلكم اصرى قالوا أقررنا قال فأشهدوا و أنا معكم من الشاهدين﴾(آل عمران(۳): ۸۱) و ذلک لأنّ الله أخذ ميثاق كلّ نبی بعثه بأن يؤمن بمحمد و يرضى أمّته بالايمان به و نصرة دينه، فمن آمن به من الأمم الماضية قبل بعثته و بعد بعثته فهو من أهل الثواب، و من لم يؤمن به من الأوّلين و الآخرين فهو من أهل العقاب، فصحّ فيه قوله: «بک أعاقب و بک أثيب» و من هاهنا ينكشف قوله ﷺ «لو كان موسى فی زمنی لايسعه إلّا اتبّاعی»[1].

فكلّ ما ذكر فی معرفة «الروح الأعظم» فهو حال النبی ﷺ، و ناهيک فی الاعتقاد بكونه ﷺ متّحد الحقيقة مع العقل الفعال و الروح الاعظم البرهان من قوله تعالى: ﴿النبی أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾(الأحزاب(۳۳): ۶)، و قوله فی حديث غدير خم مخاطباً لأمّته: «ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى فقال: من كنت مولاه فهذا على مولاه»[2].

بيان ذلک، أنّ المراد بالمؤمنين هم العارفون الذين صارت نفوسهم عقولا بالفعل، و العقل بالفعل هو الموجود الحقيقی و الحياة العقليّة الأخرويّة، و النبیّ بروحه المقدّس سبب لوجوداتهم الحقيقيّة، و مبدأ لكمالاتهم العرفانيّة و منشأ لفيضين الكمالين الأولى الأقدس و الثانوی المقدّس، و علّة الشیء أولى بنفس ذلک الشیء من نفسه، إذ الشیء بالقياس الى علّته بالوجوب حيث كان بالقياس الى نفسه بالامكان، فلو لم يكن روح النبی ﷺ علّة لوجوداتهم الحقيقيّة لم يكن أولى من أنفسهم، فهو الأب الحقيقی لهم و لذلک كانت أزواجه أمّهاتهم مراعاتاً لجانب الحقيقة.

فهو الوسط بينهم و بين الحق، و مبدأ فطرتهم فی سلسلة الافتقار النزولی و هو المرجح فی كمالاتهم فی سلسلة الارتقاء الصعودی، و لايصل اليهم فيض الحق بدونه، لأنّه الحجاب الأقدس و التعيّن الأوّل، فلو لم يكن أولى و أحب اليهم من أنفسهم لكانوا محجوبين بأنفسهم عنه فلم يكونوا ناجين ـ، إذ نجاتهم إنّما هی بالفناء فيه، لأنّه المظهر الأعظم ـ.

و هذه معان تحتاج الى تفصيل فی المقال، ليظهر جليّة الحال على الذكی المستبصر بأساليب الارتقاء الى الكمال، بعد تصفية القلب عن مشوّشات الدنيا و تجلية الذهن و

---

۱. «لو كان موسى حيّا لما وسعه إلّا اتباعی»، عوالی اللئالی، ج۴، ص۱۲۱، ح۱۹۹؛ بحارالأنوار، ج۲۶، ص۳۱۶، ح۷۸

۲. الكافی، ج۱، ص۲۸۷، ح۱.

البال، و تحصيل الاستعداد و الاتصال بالعقل الفعّال ـ و الله الهادى الى طريق الاصابة فى الأقوال و الأفعال، و بيده أزمّة الأمور فى الآباد و الآزال.

المشعر الثالث
فى تعيين المشفوع له

و هو كلّ من صحّت نسبته اليه من فقراء أمّته، و لفظة «الصحّة» يشمل الامكان الذاتى و الاستعدادى جميعاً، فالمراد من الأوّل المطيعون من أهل الايمان، و من الثانى العاصون من أمّته و إن اقترفوا الكبائر و اللّمم مالم يصر منشأ عصيانهم جهلا مستحكماً أو ملكة ذميمة راسخة بحيث يمتنع زوالها، فلاتنفعهم شفاعة الشافعين.

قال القفّال نصرة لاهل الاعتزال: «إنّه تعالى لا يأذن فى الشفاعة لغيرالمطيعين، إذ كان لايجوز فى حكمته التسوية بين أهل المعصية و الطاعة». و طوّل فى بيان ذلك ـ و العجب أنّ تعلّق ضرب من الشفاعة بأهل المعاصى ليس يقبح عند العقل، و المعتزلة قائلون بالتحسين و التقبيح العقليّين، فكيف يتأتى لأحد منهم أن يدعى أن تعلّق الشفاعة و الرحمة بأهل الكبائر و العفو عن ذنوبهم قبيح فى الحكمة؟

و أمّا التسوية المذكورة فغير لازمة من جهة مجرّد العفو و الشفاعة، لأنّ منزلة الكاملين فى العلم و العمل ليس كمنزلة العصاة من أهل الرحمة و الشفاعة.

و إن أراد أنّه لايجوز التسوية بين المطيع و العاصى فى أمر من الأمور فهو جهل محض، لأنّه تعالى قد سوّى بينهما فى الخلق و الحياة و الرزق و اطعام الطيّبات و كثير من المرادات.

و إن كان المراد أنّه لايجوز التسوية بينهما فى كلّ الأمور فهو ممّا لاينكره أحد، بل الجميع قائلون بموجبه ـ و كيف لا ـ و المطيع لايكون له فزع و لايكون خائفاً من العقاب، و المذنب يكون فى غاية الخوف، و ربّما يدخل النار و يتألّم مدة مديدة ثمّ تتداركه الرحمة يخلّصه الله عن ذلك العذاب، بشفاعة الرسول صلى الله عليه و آله.

على أنّ أكثر المعتزلة ـ وهم البصريّون منهم ـ ذهبوا الى أنّ العفو عن صاحب الكبيرة حسن فى العقول، إلّا أنّ السمع دالّ على عدم وقوعه، و إذا كان كذلك كان الاستدلال العقلى على المنع من الشفاعة فى حق العصاة خطاء إلّا ما استثناه ـ و هم الراسخون فى

الأوصاف الذميمه التی هی مبادی الأعمال القبیحة ـ علی ماهو مبیّن فی مقامه . نعم ، هذا الاستدلال لایستقیم علی مذهب الکعبی إلّا أنّ الجواب ماذکرناه .

فعلم أنّ هذا القفّال قلیل الوقوف فی مسلک الاعتزال ، ناقص النصیب فی علم الکلام ، مع رسوخه کالزمخشری فی التعصّب لهذا المذهب و المبالغة فی المنع عن جود الله فی حق أهل الکبائر من الاسلام ، و الصدّ عن نیل رحمته إیّاهم فی دار السلام .

و یمکن الجواب عن شبهة القفّال بوجه آخر علی طریقة أهل الکلام ، و هو أنّ العقاب حق الله و للمستحق أن یسقط حق نفسه بخلاف الثواب ؛ فانّه حق العبد فلایکون الله تعالی أن یسقطه . و هذا الجواب ممّا ذکره الامام الرازی و هو من علماء مذهب الأشاعرة ، فکأنّه ذکره علی قانون الجدل الزاماً علی المعتزلة ، و إلّا فالأشاعرة قائلین بالاستحقاق فی العبد للثواب و لاللعقاب .

و اعلم أنّ الناس بحسب العاقبة ستة أصناف ، لأنّهم إمّا سعداء و هم أصحاب الیمین ، و إمّا أشقیاء و هم أصحاب الشمال ، و إمّا السابقون و هم المقرّبون ، قال الله تعالی : ﴿و کنتم أزواجاً ثلاثة﴾(الواقعة(۵۶) : ۷) .

و أصحاب الشمال : إمّا المطرودون الذین حق علیهم القول و هم أهل الظلمة و الحجاب الکلی ، المختوم علی قلوبهم أزلا کما قال تعالی : ﴿و لقد ذرأنا لجهنّم کثیراً من الجن و الانس﴾(الأعراف(۷) : ۱۷۹) ـ ، و قد روی فی الحدیث الالهی الربّانی : «خلقت هؤلاء للنار و لا أبالی» . و إمّا المنافقون الذین کانوا مستعدین بحسب الفطرة ، قابلین للنّور فی الأصل و النشأة ، لکن احتجبت بالرین المستفاد من اکتساب الرذائل و ارتکاب المعاصی .

و أصحاب الیمین : إمّا أهل الفضل و الثواب ، و منهم أهل الرحمة الباقون علی سلامة نفوسهم و صفاء قلوبهم ، المتبوئون درجات الجنّة علی حسب استعداداتهم من فضل ربّهم ، و إمّا أهل العفو الذین خلطوا عملا صالحاً و آخر سیّئاً ، و هم قسمان : المعفو عنهم رأساً لقوّة اعتقادهم و عدم رسوخ سیئاتهم ، و المعذبّون حیناً ما رسخ فیهم من المعاصی حتی خلصوا عن درن ماکسبوا فنجوا ، و هم أهل العدل و العفات و الذین ظلموا من هؤلاء سیصیبهم سیّئات ما کسبوا ، لکنّ الرحمة تتدارکهم و تنالهم بالآخرة .

فهذه أصناف النفوس الانسانیّة ، و الجمیع محتاجون الی شفاعة السیّدﷺ یوم القیامة کما أنّهم محتاجون الی هدایته فی الدنیا ، لکن بعضهم ممتنع القبول للشفاعة لهم بالامکان